أخلاق الناصر

صلاح الدين الأيوبي

صالح شيخو رسول الهسنياني

Akhlaq Al-Nasser Saladin Al Aiyobi

Salih Shikho Rasool Al Hisinyani

Saladin one of the Islamic Army Leaders who had the great support in strengthening of the Islamic State and push its enemies away from the Crusades and aspirants, his life was serious, but with his serious it was manners with his followers ,soldiers and he and procuring the exemplary example in military ethics.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أنجب الإسلام عظماء في شتى العلوم والمعارف، وعلى مر العصور والدهور، وما يزال هذا الدين والى يوم القيامة ينجب العلماء الأفاضل، الذين يبينون شرع الله لخلق الله تعالى، والأبطال الأشاوس الذين يدافعون عن حرماته ومقدساته، وكان صلاح الدين من هؤلاء الأبطال العظام الذين خلدهم التاريخ والى الأبد.

واعلم " أن للبطولة درجات وأنواع، فهناك في التاريخ بطولة محلية إقليمية على مستوى القرية أو المدينة أو الإقليم، وهناك بطولة عالمية على مستوى الوطن الكبير للإنسان، والبطل في النوع الأخير لا يخلد اسمه في تاريخ وطنه الصغير أو في تاريخ البشرية، فينال إعجاب الأعداء والأصدقاء جميعاً، ويردد اسمه أناس لا تربطهم به صلة من الصلات الاّ صلة الانتماء إلى الوطن البشري الكبير"[1]، فكان بطولة صلاح الدين من هذا النوع من البطولات العالمية.

صلاح الدين الذي أحيا روح الجهاد بعد ما خمدت، ونزع الخوف من قلوب المسلمين، ووحد صفوفهم، فاسترد بيت المقدس بهم بعد ما فقد، فكان هو المهندس لهذا الفتح العظيم.

صلاح الدين وقبل فتحه القلاع والحصون فتح القلوب والصدور بعدله، وكرمه، وإحسانه، ولطفه، وحلمه، وسماحته، وحبه لرعيته، ووفائه...، ثم بعدها سار إلى فتح البلدان بعد زرعه الأمان بأخلاقه النابعة من روح الدين الإسلامي، وبإيمانه العميق بالله تعالى.

---

(١). اقتباس من كتاب: الناصر صلاح الدين، للدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور، ص٣.

بأخلاقه دخل صلاح الدين قلوب أعداءه وأصحابه معاً، وبأخلاقه استطاع أن يوحد أقطاراً وبلاداً تحت سلطته، وبأخلاقه أقبل عليه العلماء والفقهاء والشعراء والمؤرخين وأصحاب المهارات والأرامل واليتامى والفقراء والمساكين وذوي الحاجات.

وما هذا البحث الموجز إلا بيان لبعض أخلاق وصفات هذا السلطان العظيم والقائد الكردي الكبير والفاتح الذي قلما يجود الزمان بمثله، إلى ذكر جانب من حياته ومناصبه، مع بعض ما قيل فيه من الأشعار والأقوال للشعراء المعاصرين له وكذلك أقوال بعض العلماء والشعراء المتأخرين، وقد قسمته إلى ثلاثة فصول وثلاثة وعشرون مبحثاً وسبعة مطالب مع إهداء ومقدمة وبيان الأسباب التي دفعتني إلى كتابة هذا البحث:

الفصل الأول: ولادته وشيئ عن جهاده ومناصبه ويحتوي على مبحثين وسبعة مطالب.

الفصل الثاني: أخلاق صلاح الدين ويحتوي تسعة عشر مبحثاً .

الفصل الثالث: ما قيل في صلاح الدين، ويحتوي على مبحثين.

وفي الختام أرجو من الله تعالى أن يتقبل هذا العمل لوجه الكريم وأن يجعل ثوابه في ميزان حسناتي يوم الدين

الدافع لكتابة هذه السطور:

- على يمينك وأنت تدخل مبنى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية-سابقاً – الآن جامعة نوروز الأهلية- في مدينة دهوك- كردستان العراق- صورة جدارية كبيرة وبألوان جذابة للمسجد الأقصى الشريف مكتوب بأسفلها هذه العبارة الجميلة:

فتحها عمر حررها صلاح الدين فمن لها الآن ؟!

هذه العبارة كانت لها صداها في نفسي حتى أثمرت بهذا البحث.

- صلاح الدين الأيوبي الكردي من أعظم شخصيات التاريخ الإسلامي.
- انتظار الأمة الإسلامية قائداً مثل صلاح الدين ليوحد كلمتها ويجمع صفوفها ويحرر بيت الأقصى من أسر الصهاينة...

- معرفة اهتمامات هذا القائد العظيم وعلى رأسها نصرة الإسلام، وكيف كان يقضي وقته في غير الجهاد، في مجالس الذكر والعلم.
- دراسة الماضي شيئ جميل والأجمل منه أخذ الدروس والعبر، فكتابة شيئ عن سيرة هذا البطل لا للتغني والتباهي بل للتشبه والتأسي...
- وأخيراً قائد يدخل قلوب أعدائه ويمدحونه ويثنون عليه وعلى أخلاقه، ألا يستحق أن يُعرف ويكتب عنه في كل حين؟...

كلمات...

- " لم يعرف العالم أخلاق هذا الشخص وأوصافه العالية، فقد كان من غير شك ذا نفس شريفة، شهماً، شجاعاً، رقيق القلب".

المؤرخ ستانلي

- " مات بموت السلطان الرجال وفات بوفاته الأفاضل، وغضت الأيادي وفاضت الأعادي، وانقطعت الأرزاق وادلهمت الآفاق وخاب الراجون وغاب اللاجئون وخافا لأمن وخاب الأمل وقنط السائل، وفجع الزمان بواحده وسلطانه ورزئ الإسلام بمشيد أركانه...".

العماد الأصفهاني

- وإني امرؤ أحببتكم لمكارمٍ

سمعت بها والأذن كالعين تعشقُ

وقالت لي الآمال إن كنت لاحقاً

بأبناء أيوب فأنت الموفـــــق

المهندس ابن الشحنة

- أتدري أي سلطان تُحي

وأيّ مملك تهدي السلاما

دعوت أجل أهل الأرض حرياً

أشرفهم إذا سكنوا سلاما

أحمد شوقي

- إليك صلاح الدين نشكو مصيبة

أحببت بها قلب العلى فهو مغتال

معروف الرصافي

من أقوال الناصر صلاح الدين:

- " في الوقت الذي تمس قدمي الأرض أشعر بمرض، وإذا ركبت يزول عني ألمها ".
- نظر إلى قصر بني له، ثم قال:" ما كنا لنجلس في هذا المكان إلى الأبد، فهذا المنزل لا يصلح لمن يطلب الموت، وما نحن هنا إلا لنقوم بخدمة الله سبحانه".
- " كيف يطيب لي الفرح والطعام ولذة المنام، وبيت المقدس بأيدي الصليبيين".

قال وهو يوصي ولده:

- أوصيك بتقوى الله تعالى، فإنها رأس كل خير.
- وأوصيك بحفظ قلوب الرعية والنظر في أحوالهم.
- واحذر من الدماء، فإن الدم لا ينام.

الفصل الأول

"كان صلاح الدين ربع القامة كثيف شعر اللحية يلبس العامة الجبة والقفطان يتقلد خنجرا في منطقته وكان حاد العين مع وداعة وذكاء".

ولادته..

وشيء عن:

حياته السياسية والجهادية

وفيه مبحثين:

المبحث الأول: ولادته

المبحث الثاني: شذرات من حياته السياسية والجهادية.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: شيء عن طفولته.

المطلب الثاني: علومه.

المطلب الثالث: مناصبه.

المطلب الرابع: أهم أعماله كوزير.

المطلب الخامس: شيء عن فتوحاته وجهاده.

المطلب السادس: البلاد التي توحدت تحت أمرته.

المطلب السابع: معركة حطين.

المبحث الأول

ولادته

ولد صلاح الدين يوسف بن أيوب في قلعة تكريت سنة (٥٣٢هـ/ ١١٣٧م).

بقول الأستاذ عبدالله ناصح علوان عن ولادة صلاح الدين: " ومن عجائب القدر أن ولادة صلاح الدين كانت في اليوم الذي أمر فيه (مجاهد الدين بهروز) والي بغداد نجم الدين أيوب وأخاه شيركوه بمغادرة مدينة تكريت لقتل (شيركوه) عم صلاح الدين أحد قواد القلعة، وذلك من أجل امرأة أذاها القائد في شرفها، فانتقم شيركوه للشرف والمروءة حين استغاثت به فقتله، ولكن (بهروز) وقع في حيرة من نفسه هل يبقيهما عنده؟ أم يأمر بمغادرتهما، فإن أبقاهما يخشى عليهما من انتقام القواد أن يصيبهما الأذى، فلم يجد بداً سوى أن يأمرهما بالمغادرة، فجاء بهما مظهراً الخوف عليهما، وطلب إليهما أن يخرجا في ليلتهما من تكريت، فخرج الرجلان يقصدان (الموصل) وقد حملا أسرتيهما، وفي رحل نجم الدين يوسف ابنه الطفل المولود صلاح الدين.

ويذكر صاحب (وفيات الأعيان)[١] أن أيوب قد تشاءم بمولوده الجديد صلاح الدين، وقد هّم أيوب بقتل ولده عندما كان يصيح وهو طفل وهم خارجون من المدينة، ولكن أحد أتباعه حذره من هذا العمل قائلاً: " يا مولاي، قد رأيت ما حدث عندك من الطيرة والتشاؤم بهذا الصبي وأي شيء له من الذنب؟ وبم استحق ذلك ندك؟ وهو لا ينفع ولا يضر، ولا يغني شيئاً، وهو الذي جرى عليك قضاء من الله سبحانه وقدر، ثم ما يدريك أن هذا الطفل يكون ملكاً عظيم الصيت، جليل المقدار ولعل الله جاعل له شأناً، فاستبقه فهو طفل ليس له ذنب ولا يعرف ما أنت فيه من الكدر والغم ولقد أثرت

---

(١). ابن خلكان الاربلي، وفيات الأعيان (ج٧ ،ص ١٣٩) وما بعدها، رقم الترجمة: (٨٤٦) بيروت ١٩٧٧.

هذه الكلمات في نفس أيوب، وسرعان ما رجع إلى الحق، وثاب إلى الرشد، واتبع طريق الإسلام الصحيح".[١]

المبحث الثاني

شذرات من حياته السياسية والجهادية

المطلب الأول

شيء من طفولته

بينا أنه ولد في سنة (٥٣٢هـ/ ١١٣٧م)، وفي ليلة ولادته انتقلت العائلة من تكريت إلى الموصل وبرفقة العم شيركوه، وما أن وصلت العائلة إلى الموصل حتى رحب بهم عماد الدين زنكي الذي أجرى على العائلة المنح والعطايا، فاقطع الأخوين (نجم الدين وشيركوه) أرضا ليعيشا عنده معززين مكرمين[٢]. واسند إليهما أعمال الجيش.

---

(١). كتاب: صلاح الدين الأيوبي (ص ١٥، ص١٦)، ابن الأثير: القاهرة (ص١١٩). وينظر أيضا تفاصيل ولادته: عبدالعزيز سيد الأهل أيام صلاح الدين (ص٣١ – ص٣٦) بيروت، دار الكتب، ١٩٦١.

(٢) . وكان سبب هذا الترحيب والإكرام إلا مكافئة على موقفهما المخلص في إنقاذهما له من القتل أو الأمر ذلك لأن عماد الدين زنكي صاحب الموصل قد حارب السلجوقية عند تكريت أيام كان بهروز والياً على بغداد من قبل السلجوقيين، وكان حينها نجم الدين أيوب وشيركوه قائمين على تكريت وقلعتها من قبل بهروز، وكان من نتيجة حرب عماد الدين زنكي للسلجوقيين أن انهزم جيشه أمام جيش السلطان السلجوقي، وفي أثناء انسحابه ورجوعه إلى الموصل مرّ بتكريت وأصبحت حياته هو وجيشه في يد نجم الدين أيوب والي تكريت يومئذ إن شاء أبقاهم أحياء وان شاء قتلهم، ففضل نجم الدين الإحسان على الإساءة فقام هو وأخوه شيركوبمساعدة عماد الدين وسهّلا له أمر النجاة والسلامة حتى وصل إلى الموصل، فكان لهذه المعاملة الحسنة والموفق النبيل اكبر الأثر، وأحسن نتائج في بناء ملك أيوب وإقامة مجد الإسلام على يد صلاح الدين. ينظر: عبدالله ناصح علوان: كتاب صلاح الدين (ص١٦ ،ص١٧). وعبدالعزيز سيد الأهل: أيام صلاح الدين (ص٣٧).

ولما سقطت مدينة بعلبك في يد عماد الدين زنكي سنة (٥٣٤هـ/١١٣٩م) عهد إلى نجم الدين أيوب وعينه والياً عليها. وعندها كان عمر صلاح الدين سنتين، وهذا يدل أنه قضى سني طفولته في بعليك، وبعد وفاة عماد الدين زنكي كانت العائلة في خدمة ابنه نورالدين الشهيد وعند استيلائه على مدينة دمشق انتقلت العائلة إليها، فكانت أيامه في دمشق من أفضل الأيام التي أظهرت شخصيته ومكانته لدى الناس حيث كان محل تقدير واحترام كبيرين بسببين أحدهما: لأنه كان ابن حاكم دمشق، والثاني: كونه متدينا مهذبا هادئاً غيورا على الإسلام والمسلمين.[١]

المطلب الثاني

علومه

ذكر تاج الدين السبكي في طبقاته، أنه سمع الحديث من الحافظ أبي طاهر السلفي وأبي طاهر بن عوف الإسكندراني، والشيخ قطب الدين النيسابوري وعبدالله بن بري النحوي، وجماعته...(وقال) وكان فقيها يقال أنه كان يحفظ القران الكريم والتنبيه في الفقه[٢] والحماسة في الشعر.[٣]

---

(١). ينظر: عبدالله ناصح علوان: كتاب صلاح الدين، (ص١٦ – ص ١٨)، بتصرف وأبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين.

(٢) . لأبي إسحاق الشيرازي وهو في الفقه الشافعي.

(٣). طبقات الشافعية الكبرى: (ج٧ ،ص٣٤٠).

المطلب الثالث

مناصبه

١-رئاسة شرطة دمشق: في عهد نورالدين بن عماد الدين زنكي، وقد قام بهذا المنصب أحسن قيام، واستطاع أن يطهر دمشق من عبث اللصوص، ومن شرور المفسدين.[١] وكان ذلك سنة (٥٦١هـ/١١٦٦م).[٢]

٢-وزيراً للخليفة العاضد الفاطمي، وذلك في سنة (٥٦٤هـ/١١٦٩م)، وهو في الثاني والثلاثين من عمره، بعد أن شارك في ثلاثة معارك مع عمه أسد الدين شيركوه، في مصر ضد الصليبين في سنة (٥٥٩هـ/١١٦٤م،) وفي هذه السنة انتصب أسد الدين شيركوه وزيرا للخلافة الفاطمية، ولكن لم تدم وزارته أكثر من شهرين فتوفي في جمادي الثاني من هذه السنة. وبعد توفي أسد الدين تولى الوزارة صلاح الدين رغم صغر سنه.[٣]

---

(١) . عبدالله ناصح علوان: صلاح الدين (ص١٨).

(٢). أحمد بن إبراهيم الحنبلي: شفاء القلوب، (ص٦٦)وينظر أيضاً : عبدالعزيز سيد الأهل، المصدر السابق (ص٣٩).

(٣) . ابن الأثير: الكامل (ج٩، ص٨٤)، السبكي: طبقات الشافعية (ج٧، ص٣٤١) ابن شداد: النوادر السلطانية (ص٣٧، ٣٨، ٤٠)، أبو شامة: الروضتين (ج١، ص١٦٤) ابن الأثير: الباهر (ص١٤١).

المطلب الرابع

أهم أعمال الوزير الشاب[1]

١-انتصاره على الفرنج في دمياط وغزة والعقبة.

٢-قضاؤه على المؤامرات الداخلية من أبرزها:

- مؤامرة مؤتمن الخلافة، سنة (٥٦٤هـ/١١٦٩م).
- مؤامرة عمارة اليمني، سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م).
- مؤامرة كنز الدولة، سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م).

٣-قضاؤه على المؤامرات الخارجية: وخاصة في دمياط والإسكندرية في سنتي (٥٦٤و٥٦٩هـ).

٤-إنشائه في مصر مدرستين المدرسة الناصرية والمدرسة الكاملية لتدريس مذهب أهل السنة والجماعة بعيدا عن التشييع لآل البيت.[2]

٥-تغيير خطبة يوم الجمعة وجعلها باسم الخليفة العباسي المستضيء خليفة بغداد بدلاً من الخليفة الفاطمي العاضد وذلك في سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م.[3]

وبوفاة الخليفة الفاطمي أصبح صلاح الدين سيد مصر وسلطانها من دون منازع، وقبض على الفاطميين واستولى على القصر وخزانته، وهي أموال لا تحصى ولا تصرف لملك قبل الفاطميين.[4]

المطلب الخامس

---

(١). ابن الأثير: (ن.م) (ج٩، ص٩٩)، ابن شداد: (ن.م) (ص٤٥، ص٤٧) ، أبو شامة: (ن.م) (ج١،ص١٧٨ ،ص٢١٩)، الحنبلي: شفاء القلوب (ص٧١).

(٢). عبدالله ناصح علوان: كتاب صلاح الدين (ص٣٦)، وينظر أيضًا: الحنبلي: شفاء القلوب (ص١٨٩).

(٣). ابن الأثير: (ن.م) (ج٩، ص١١١). والسبكي: (ن.م) (ج٧، ص٣٤١)، الحنبلي: شفاء القلوب (ص٧٥).

(٤). السبكي: (ن.م)، بتصرف ابن شداد: (ن.م) (ص٤٥)، أبو شامة: (ن.م)، (ج١، ص٢٠٠).

شيء عن فتوحاته وجهاده

بعد انفراد صلاح الدين بالسلطة وقضاءه على الفاطميين في مصر (الجبهة الداخلية)ولّى وجهه شطر الجبهات الخارجية مع الفرنج الصليبين فكانت عصر الفتوحات وموسم الانتصارات...

وكان أول فتوحاته برقة ونقوسة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بالقرب من طرابلس (ليبيا): سنة (٥٦٨هـ وفي سنة ٥٦٩هـ) افتتح اليمن.[١]

توجهه إلى دمشق:

بعد وفاة نورالدين زنكي سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م)، حدثت فتن وقلاقل في الشام، وبعد مراسلة أهل دمشق لصلاح الدين بالتوجه إليهم، قصد دمشق فوصلها في شهر ربيع الأول سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م) فكان يوماً عظيماً وحافلاً .[٢]

وبعد استيلائه على قلعة دمشق، صار هو سلطان مصر والشام واليمن والحجاز.[٣]

وفي هذه السنة نفسها سار إلى حمص وحماه وحلب فاستولى عليها، ثم استمرت الفتوحات.[٤]

---

(١). ابن شداد: (ن.م) (ص٤٥، ص٤٦). أبو شامة: (ن.م): (ج١، ص٢١٥)، والسبكي: (ج٧، ص٣٤٢).

(٢). ابن الأثير: (ن.م)، (ج٩، ص١٣٠)، السبكي (ج٧، ص٣٦١). ابن شداد (ص٥٠)، أبو شامة (ج١، ص٢٣٥)، ابن الأثير: الباهر (ص١٧٦).

(٣). السبكي: (٣٤٢/٧).

(٤) . ابن الأثير: (ج٩ حوادث سنة ٥٧١هـ)، والسبكي: (ج٧، ص٣٤٢، ٣٤٣ص).

المطلب السادس

البلاد التي توحدت تحت إمرة صلاح الدين

يقول الأستاذ عبدالله ناصح علوان: " إن البلاد التي وحدها صلاح الدين أصبحت ممتدة الأطراف، واسعة الأرجاء، فقد كان سلطانه ينشر أجنحته على جهات كثيرة من الرملة إلى حوض النيل، ويمتد ظله فيعم سواحل أفريقيا الشمالية حتى طرابلس وتونس حتى مدينة قابس، وخطب له على المنابر في هذه الجهات كلها.

(ويقول) وإذا أضفنا إلى ملكه مصر والشام وشمال العراق فتصبح البلاد التي تحت إمرة صلاح الدين شاملة لشمال العراق (كردستان) والشام واليمن ومصر والمغرب وسواحل أفريقية الشمالية ".[١]

ويضيف بقوله: أن هذه الفتوح، وتوحيد كلمة البلاد كانت تمهيدا لفتح القدس الشريف وتحريرها من الصليبية.[٢]

المطلب السابع

معركة حطين

بعد أن استتب الأمر لصلاح في هذه البلاد بدأ يفكر في كيفية استرداد بيت المقدس من أيدي الصليبين، فبدا ينظم جيوشه ويحشد جموعه، منازلة العدو، وكان رحمة الله تعالى مهتما في استنفار المسلمين، واستنهاض همهم للجهاد المقدس، في سبيل الله وكان إذا رآه من رآه، لا يراه إلا مهتماً مغتما تعلوه كآبة الحزن والأسى.. بل كان عزوفا عن الطعام لا يتناول من الغذاء إلا الشيء اليسير، ولما سئل عن سبب ذلك أجاب: كيف يطيب لي الفرح والطعام ولذة المنام وبيت المقدس بأيدي الصليبيين؟

---

(١). عبدالله ناصح علوان: كتاب صلاح الدين (ص٥٦).

(٢). عبدالله ناصح: (ن.م) (ص٤٧) بتصرف. وللمزيد ينظر، الحنبلي: شفاء القلوب، (ص١٨٧).

قال صاحبه ومرافقه القاضي (بهاء الدين بن شداد) يصف حاله في حروبه للصليبيين: " كان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله الجبال"، وقال: " وهي كالوالدة الثكلى، ويجول بفرسه من طلب إلى طلب ويحث الناس على الجهاد. بنفسه وينادي: يا للإسلام . وعيناه تذرفان بالدموع، وكلما نظر إلى عكا، وما حل بها من البلاء، وما يجري على ساكنها من المصاب العظيم، اشتد في الزحف والحث على القتال، ولم يطعم في ذلك طعاماً ألبته، وإنما شرب أقداح دواء كان يشير بها الطبيب، ولقد اخبرني بعض أطبائه انه بقي من يوم الجمعة إلى يوم الأحد لم يتناول من الغذاء إلا شيئاً يسيراً لفرط اهتمامه".[١]

وبعد التقاء الطرفان في حطين، وانتصار المسلمين فيها، استمر صلاح الدين في فتح الحصون والمدن إلى أن وصل بيت المقدس فدخلها في يوم الجمعة الموافق (٢٧رجب، سنة ٥٨٣هـ) يوم الإسراء.[٢]

وبعد هذه المعركة استمرت المعارك بين صلاح الدين والصليبين في سنة (٥٨٥هـ/١١٨٩م) في عكا، وفي سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م) التقيا في عكا، وتم الصلح بين الطرفين سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م.[٣]

---

(١) . عبدالله ناصح: (ن.م) (ص٦٨)، أبو شامة: (ج٢، ص٧٥ـ ص١٢٤)، ابن شداد (ص٧٥ . ص٨٥).

(٢) . أبو شامة: (ج٢، ص٩٢)، ابن شداد:(ص٨١)، علوان (ص٧١).

(٣) . علوان (ص٨٤ . ص٨٦)، ابن الأثير (١٩٩٩/٩، ٢٠٥، ٢١٨)، أبو شامة: (ج٢، ص١٤٢، ص ١٨٢، ص١٩٩).

الفصل الثاني

أخلاق صلاح الدين الأيوبي

المبحث الأول

صلاته

كان . رحمه الله . شديد المواظبة على الصلاة مع الجماعة وكان إن مرض يستدعي الإمام وحده ويكلف نفسه القيام ويصلي جماعة، وكان يواظب على السنن والرواتب.[١]

وكان له ركعات يصليها إن استيقظ في الليل وإلا أتى بها قبل الصبح، وما كان يترك الصلاة ما دام عقله عليه، يقول ابن شداد: "ولقد رأيته يصلي في مرضه الذي مات فيه قائماً وما ترك الصلاة إلا في الأيام الثلاثة التي تغيب فيها ذهنه".[٢]

وقيل إذا جاء وقت الصلاة وهو راكب نزل فصلى وما قطعها إلا في مرضه.[٣]

المبحث الثاني

زكاته وصدقاته

قال ابن شداد: " أما صدقة النفل فإنها استنفذت جميع ما ملكه من الأموال فانه ملك ما ملك ولم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ناصرية".[٤]

وقال سبط ابن الجوزي: "..وكان مغرماً بالإنفاق في سبيل الله وحسب ما أطلقه ووهبه مدة بقائه على عكا مرابطاً للفزع من شهر رجب سنة (٥٨٥هـ) إلى يوم انفصاله

---

(١) . ابن شداد: النوادر السلطانية (ص٧)، الأصفهاني: الفتح القسي، (ص٦٥٩).

(٢) . ابن شداد: (ن.م) (ص ٨).

(٣) . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، (ج٦، ص٩).

(٤) . ابن شداد: (ن.م).

في شعبان سنة (٥٨٨هـ) فكان (١٢) ألف رأس من الخيل العراب (العربية) والاكاديش الجياد للحاضرين معه وغير ما أطلقه من الأموال".[١]

المبحث الثالث

صومه

كان – رحمه الله تعالى– عليه من فوائت بسبب أمراض تواترت عليه في رمضانات متعددة، وكان القاضي الفاضل قد تولى ثبت تلك الأيام، وشرع في قضاء تلك الفوائت بالقدس الشريف في السنة التي توفي فيها، وواظب على الصوم، مقدارا زائدا على الشهر.. ويقول ابن شداد فالهم الله تعالى الصوم بقضاء الفوائت فكان يصوم وأنا اثبت الأيام التي يصومها، وكان الطبيب يلومه وهو لا يسمع ويقول: لا اعلم ما يكون، فكأنه كان ملهما ما يراد به رحمه الله تعالى.[٢]

المبحث الرابع

الحج

وأما الحج فإنه كان لم يزل عازماً عليه، وناوياً له، سيما في العام الذي توفي فيه، فإنه صَّمم العزم عليه، وأمر بالتأهب وعُملت الرَّفادة ولم يبق إلا المسير، فاعتاق عن ذلك بسبب ضيق الوقت، وفراغ اليد عما يليق بأمثاله، فأخَّره إلى العام المتقبل، فقضى الله ما قضى، وهذا شيء اشترك في العلم به الخاص والعام.[٣]

---

(١) . النجوم الزاهرة: (ج٦، ص٩).

(٢) . ابن شداد: النوادر السلطانية: (ص ٨).

(٣) . نفسه: (ص ٩).

المبحث الخامس

ليله وخلوته

كان – رحمه الله تعالى– يحب سماع القران الكريم حتى أنه كان يمتحن أمامه ويشترط ان يكون عالماً بعلوم القران العظيم متقناً لحفظه.

وكان يستقرئ من يحضره في الليل وهو في برجه الجزأين والثلاثة والأربع وهو يسمع، أما في مجلسه العام فقد جرت عادته أن يسمع (١٥ أو ٢٠) آية أو زيادة على ذلك.[١]

وكان أيضاً يحب أن يقرأ الحديث في خلوته، يقول ابن شداد: وكان يستحضرني في خلوته ويحضر شيئاً من كتب الحديث ويقرأها هو فإذا مر بحديث فيه عبرة رق قلبه ودمعت عينه.[٢]

ذكر الأشرف الغساني: أنه كان له خرقه (نوع من اللباس) قد أحضر له من الحج فكان يلبس تلك الخرقة كل ليلة، ويخرج إلى مسجد قد بناه في داره ويصلي فيه نحو ثلثي الليل.[٣]

المبحث السادس

عدله وعفوه

كان – رحمه الله تعالى– يحب أن تأخذ العدالة مجراها مهما كان الداعي ومهما كان المدعي، لان الحق أحق أن يتبع، وقد حدث أن أدعى تاجر يدعى (عمر الخلاطي) على صلاح الدين بأنه أخذ منه أحد مماليكه ويدعى (سنقر الخلاطي)، واستولى على ما كان لهذا المملوك من ثروة طائلة بدون وجه الحق، وعندما تقدم التاجر المدعي بظلامته (بشكواه) إلى القاضي ابن شداد، أظهر صلاح الدين حلماً

---

(١) . ابن شداد: النوادر السلطانية، (ص٩).

(٢) . نفسه: (ص١٠).

(٣) . الاشرف الغساني: العسجد المسبوك: (ص٢٢٣).

كبيراً ورضي أن يقف موقف الخصم من صاحب الدعوى، وأحضر كل من الطرفين من لديه من شهود، وما لديه من أدلة يثبت بها رأيه، حتى اتضح في النهاية . عند القاضي ابن شداد . كذب الرجل وادعاءه الباطل على صلاح الدين ومع كل هذا رفض صلاح الدين أن يترك المدعي يخرج من عنده خائباً فأمر له بخلعة ومبلغ من المال، ليدلل على كرمه في موضع المؤاخذة مع القدرة.(١)

وقد ذكر ابن جبير من مناقب صلاح الدين وآثاره التي أبقاها ذكرا جميلا للدين والدنيا: "أنه أزال كثيراً من المكوس والضرائب التي كانت مفروضة على الناس على كل ما يباع ويشترى مما دق أوجل، حتى كان يؤدي على شرب ماء النيل المكس، فألغى صلاح الدين هذا كله"، وإزالته أيضاً المكس والضرائب المفروضة على الحجاج مدة دولة العبيديين".(٢)

ومن مناقبه أيضاً ما ذكره ابن جبير عن عدالته وامتثاله للشرع قال: " وحضره أحد مماليكه المتميزين لديه بالخطوة والأثر مستعديا على جمال ذكر أنه باعه جملا معيباً ، أو صرف عليه جملا بعيب لم يكن فيه، فقال السلطان له: فعسى أن اصنع لك، وللمسلمين قاض يحكم بينهم والحق الشرعي مبسوط للخاصة والعامة وأوامره ونواهيه متمثلة، وإنما أنا عبد للشرع وشحنته (والشحنة: صاحب الشرطة)، فالحق يقضي لك أو عليك".(٣)

---

(١) . ابن شداد: النوادر (ص١٤) بتصرف، الحنبلي: شفاء القلوب (ص٦٣).

(٢) . عبدالله ناصح علوان: كتاب صلاح الدين الأيوبي (ص١٣٩). عن كتاب رحلة ابن جبير (ص٢٨، ص٢٩) بتصرف.

(٣) . ابن جبير: الرحلة (ص٢٤٣، ص٢٤٤).

المبحث السابع

كرمه

كان– رحمه الله تعالى – يعطي في وقت الضيق كما يعطي في حالة السعة، وكان نواب خزانته يخفون عنه شيئاً من المال حذراً أن تفاجئهم مهمة أو حاجة لعلمهم بأنه متى علم به أخذه وصرفه.

وكان يكرم أكثر ما يعطي وكان قد عرفه الناس فكانوا يستزيدونه في كل وقت.[١]

وقيل: وما حضر بين يديه يتيم إلا وترحم على من خلفه وجبر قلبه وأعطاه ما يكفيه، فان كان له كافل سلمه إليه وإلا كفله.[٢]

وقيل أيضا:سرق يوماً من خزانته ألفا دينار وجعل في الكيس نقوداً فما قال شيئاً [٣].

وقال ابن قاضي شهية: أنه كان يجود بالمال في سبيل الله قبل الوصول إليه.[٤]

قال ابن شداد: ورأيته قد أجتمع عنده جمع من الوفود بالمقدس الشريف، وكان قد عزم على التوجه إلى دمشق، ولم يكن في خزانته ما يعطي الوفود، فلم أزل أخاطبه في معفاهم (أي صرفهم) حتى باع قرية من بيت المال وفضضنا ثمنها عليهم ولم يفضل درهم واحد.[٥]

ومن صور إكرامه للعلماء أنه أقبل ذات يوم عالم في القدس الشريف على زيارة صلاح الدين، فرحب به وأكرم وفادته، وأخذ صلاح الدين يسمع منه الأحاديث النبوية الشريفة، ثم انصرف الرجل مع بهاء الدين بن شداد وبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح الصبح أراد العالم أن ينصرف بدون أن يطلب رؤية صلاح الدين، فأخبره ابن شداد

---

(١) . النوادر السلطانية (ص١٧، ص١٨).

(٢). النجوم الزاهرة، (ج٦، ص١١).

(٣) . نفسه.

(٤) . شذرات الذهب: (ج٤، ص٢٩٨).

(٥) . النوادر السلطانية (ص١٧).

بما كان منه، فحزن صلاح الدين وقال: لماذا لم تخبرني يا ابن شداد بذهابه، إذ كيف يأتي لزيارتنا مثل هذا العالم الجليل ثم ينصرف عنا من غير إحسان يمسه منا ؟

وغضب السلطان صلاح الدين من ابن شداد لعدم إخباره، فكتب ابن شداد خطاباً إلى قاضي دمشق، وكلفه بالسؤال عن حال هذا العالم، وإعلامه أن صلاح الدين قد غضب لذهابه من غير أن يودعه بنفسه، وطلب منه أن يعود إلى صلاح الدين، فعاد العالم، وأحضره ابن شداد إلى صلاح الدين فعانقه واستوحش إليه وظل يضيفه أياماً، ثم أعطاه ثياباً كثيرة، وخلعة جميلة، ونفقة ينفق منها على أهله، وعطايا كثيرة لأتباعه وجيرانه، ودابة مزينة بالسرج، وأنصرف عنه وهو أشكر الناس له وأخلصهم دعاءً مدى الأيام [1].

المبحث الثامن

مروءته أثناء القتال

لقد كان السلطان صلاح الدين كثير المروءة، نديَّ الوجه، كثير الحياء، مبسوط الوجه لمن يرد عليه من الضيوف، لا يرى أن يفارقه الضيف حتى يطعم عنده، وما يخاطبه في شيء إلا وينجزه وكان يكرم الوافد عليه، وإن كان كافراً، يقول القاضي ابن شداد: ولقد رأيته وقد دخل عليه صاحب صَيدا بالنَّاصرة، فاحترمه وأكرمه، وأكل معه الطعام، ومع ذلك عرض عليه الإسلام فذكر له طرفاً من محاسنه وحثَّه عليه، وكان يُكرم من يرد عليه من المشايخ وأرباب العلم والفضل وذوي الأقدار، وكان يوصينا بأن لا نغفل عمَّن يجتاز بالخيم من المشايخ المعروفين حتى يحضرهم عنده وينالهم من إحسانه.[2]

ولقد دخل عليه الْبَرْنس أرناط – صاحب الكَركَ مع ملك الإفرنج بالسّاحل لما أسرهما في وقعة حطين . . . وكان قد أمر بإحضارها، وكان هذا أرناط اللعين كافراً لعيناً جبّاراً شديداً، وكان قد اجتازت به قافلة من مصر، حين كان بين المسلمين

---

(١) . ١٠٠ قصة وقصة من حياة صلاح الدين: (ص٧٦).

(٢) . د. محمد علي الصلابي، صلاح الدين الأيوبي: (ص٢٤٤)، دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٨م.

وبينهم هدنة، فغدرها، وأخذها، ونكّل بهم، وعذّبهم، وأسكنهم المطامير والحُبوس الحرجة، وذكّروه بحديث الهدنة، فقال: قولوا لمحمّدكم يخلّصكم، فلما بلغه – رحمه الله – ذلك عنه، نذر أنه متى أظفره الله به قتله بنفسه، فلما مكّن الله منه في ذلك اليوم، قوي عزمه على قتله – وفاءً بنذره – فأحضره مع الملك، فشكا الملك العطش، فأحضر له قدحاً من شراب، فشرب منه، ثم ناوله أرناط، فقال السُّلطان للترجمان: قل للملك: أنت الذي سقيته، وأما أنا فما أسقيه من شرابي، وأطعمه من طعامي.

فقال–رحمه الله – : أن من أكل من طعامي فالمروءة تقتضي أن لا أوذيه. ثم ضرب عنقه بيده وفاءً بنذره وأخذ عكّا، وأخرج الأسرى كلهم من ضيق الأسر، وكانوا زهاء أربعة آلاف أسير، وأعطى كلاً منهم نفقة توصله إلى بلده وأهله، ويروى القاضي ابن شداد هذه القصة التي تنبئ عن تسامحه الكبير ومروءته النادرة يقول ابن شداد: لما مرض الملك الإنكليزي ريتشارد قلب الأسد – أكبر خصوم صلاح الدين – بعث إليه صلاح الدين ورفَّه عنه بأن أرسل إليه الفواكه، وكان الصليبيون يعجبون من هذا التسامح الكريم الصادر عن أعدائهم من المسلمين نحوهم(١).

كان من بين أسرى صلاح الدين بعد تحرير بيت المقدس فتاة فرنسية، فتولاها الغضب وتقدمت نحو صلاح الدين قائلة: لقد قتلت أبي، وأسرت أخويّ، فلم يعد لي عائل (أي من ينفق علي) ، وها أنت تمن علّي بالعتق كيما يزداد بلائي.

فلم تثر تلك الكلمات صلاح الدين، وبعث بمن أحضر أخوي الفتاة، وقال لها: اما أبوك فقد قتل في حرب هو الذي أشعل نارها واعتدى بها على القوم الآمنين، وأما أخواك فإني أطلق سراحهما إكراما لامرأة في حاجة إلى العائل والمعين.

فقالت الفتاة: عفوا مولاي، فإنما هي ثورة الحزن، وما كنت أسمعه في بلادي عن ظلم المسلمين . . . وهذا ما جعلني أنطق بما لا أعي، وإنني مع هذا لست يائسة من صفحك وكرم عفوك.

ولما همت بالانصراف قال لها صلاح الدين: إلى أين انت ذاهبة؟

---

(١) . النوادر السلطانية: (ص٣١–٣٢)، د. الصلابي، صلاح الدين الأيوبي: (ص٢٤٥–٢٤٦).

فقالت: إلى بلادي.

قال: وماذا انت قائلة لقومك؟

قالت: أقول كلمة الحق في الإسلام والمسلمين.[١]

في إحدى المعارك بين السلطان صلاح الدين وأخيه العادل وبين الملك ريتشارد قلب الأسد، حدث أن قتل جواد ريتشارد، فأعطاه أحد رفاقه جواداً آخر، فقتل أيضاً، وأخذ جواداً ثالثاً من رفيق ثان فقتل مثل الحصانين السابقين، ووقف ريتشارد قلب الأسد على صخرة يضرب بسيفه يميناً ويساراً، وقد أحاط به الجنود.

وإذا بفارس من فرسان صلاح الدين الأيوبي وأخاه العادل يشق الصفوف نحوه، ويقدم له هدية عن جوادين عربيين أصيلين قائلاً له: إن مولاي السلطان صلاح الدين وأخاه العادل يرجوان منك قبول هذين الجوادين لكي تواصل القتال وأنت راكب، لأنه لا يليق بقائد مثلك أن يحارب وهو واقف على قدميه[٢].

---

(١). د. صلاح عبدالتواب سعداوي: ١٠٠ قصة وقصة من حياة صلاح الدين (ص٧٣)، عن: صلاح الدين الأيوبي، لقدري قلعجي.

(٢) . ١٠٠ قصة وقصة من حياة صلاح الدين (ص٤٦).

المبحث التاسع

صبره واحتسابه

تجلى في شخص صلاح الدين أعظم علامات وآيات الصبر والاحتساب، وقد ترجم أخلاقه العالية إلى عمل وفعل، وذلك بما يكنه قلبه العظيم من إيمان بالله تعالى وبالقضاء والقدر، حادثة يرويها ابن شداد عنه، وهي موت فلذة كبده وأي حادثة أعظم من موت فلذات أكبادنا، هنا تظهر صفات وسمات صلاح الدين القائد، القدوة، المؤمن، الأب العطوف الرحيم وهذه الحادثة كما يرويها ابن شداد، في أن صلاح الدين كان له ابن اسمه إسماعيل، فجاءه خبر وفاته فتجلد وصبر واحتسب ولم يحدث أحداً، ولم يظهر عليه شيء من الألم سوى دمعة ذرفها من عينيه، وعندها قلت: " **فانظروا إلى هذا الصبر والاحتساب، وإلى أي غاية بلغ هذا الرجل، اللهم انك ألهمته الصبر والاحتساب، ووفقته له، فلا تحرمه ثوابه يا ارحم الراحمين** ".[1]

جاءه عند حلب خبراً بقتل أخيه تاج الملوك، وجاءه إبان هزيمة عكا خبر بموت أخيه الملك المظفر وكان من أعظم مهندسيه في تحصين القلاع وتدبيرها وحراستها فلم يغير مظهره في المعركتين حينما جاءه بريد السر بموت هذا وقتل ذاك.[2]

قال ابن شداد: ولقد رأيته ليلة على صَفَد وهو يحاصرها، وقد قال: لا ننام الليلة حتى تُنصب لنا خمسة مناجيق، ورتَّب لكل منجنيق قوماً يتولّون نصبه، وكنا طول الليل في خدمته –قدّس الله روحه – في ألذّ فكاهة وأرغد عيشه، والرُّسل تتواصل فتخبره بأن قد نُصب من المنجنيق الفلاني كذا، ومن المنجنيق الفلاني كذا، حتى أتى الصباح وقد فُرغ منها، ولم يبق إلا تركيب جنازيرها عليها، وكانت أطول الليالي وأشّدها برداً ومطراً، ولقد رأيته وقد وصل إليه خبر وفاة تقي الدين عمر – ابن أخيه – ونحن في مقابلة الإفرنج بالرَّملة، والعدو بيازور، بيننا وبينها شوط فرس لا غير، فأحضر الملك العادل، ولعلم الدَّين سُليمان ابن جندر وسابق الدَّين بن الّداية، وعز

---

(١) . النوادر السلطانية (ص٢٦) بتصرف يسير.

(٢) . أيام صلاح الدين. (ص٤٣).

الدين المقدَّم، وأمر بالناس فطُردوا من قريب من الخيمة، بحيث لم يبق حولها أحد زيادة عن غلو ة سَهْم، ثم أظهر الكتاب، ووقف عليه، وبكى بكاءًشديداً حتى أبكانا، من غير أن نعلم السبب ثم قال – رحمه الله– والعبرة تخنقه:توفي تقي الدَّين، فاشتّد بكاؤه وبكاء الجماعة، ثم عدت إلى نفسي فقلت: استغفروا الله تعالى من هذه الحالة، وانظروا أين أنتم، فيم أنتم، وأعرضوا عما سواه. فقال – رحمه الله –: نعم، أستغفر الله. وأخذ يكّررها، ثم قال: لا يعلم بهذا أحد، واستدعى بشيء من الماورد فغسل عينيه، ثم استحضر الطعام وحضر الناس، ولم يعلم بذلك أحد حتى عاد العدّو إلى يافا، وعدنا نحن إلى الّنظرون، وهو مقر ثقلنا[١].

المبحث العاشر

تفرغه للرعية

كان يجلس يومي الاثنين والخميس في الأسبوع يسمع شكاوي المظلومين وتوسلاتهم في مجلس عام يحضره الفقهاء والقضاة والعلماء ويفتح الباب للمتحاكمين حتى يصل إلى كل أحد من كبير وصغير وعجوز وهرم . شيخ كبير . وكان يفعل ذلك في سفره ومكان إقامته.[٢]

وكان –رحمه الله – حتى في الليل ينظر في طلبات المحتاجين المكتوبة مع الكاتب ويوقع على كل قطعة بما يفتح الله على قلبه ولم يرد قاصداً أبداً ولا منتحلاً ولا طالب حاجة.[٣]

ومع هذا كان يتفقد الرعية، اجتاز يوماً على صبي صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن فاستحسن قراءته فوقف عليه وعلى أبيه مزرعة.[٤]

---

(١). د. الصلابي، صلاح الدين الأيوبي: (ص٢٤٩)، عن: سيرة السلطان صلاح الدين.

(٢) . النجوم الزاهرة (ج٦، ص١٠)، ابن شداد (ص١٣)، مشاهير الكرد (ج١، ص١٠).

(٣) . النوادر السلطانية (ص١٣)، والنجوم الزاهرة (ج٦، ص١٠).

(٤) . ابن شداد: (ص٩)، والنجوم الزاهرة: (ج٦، ص٩).

ويقول ابن شداد: وما استغاثه إليه أحد إلاّ وقف وسمع قضيته وكشف ظلامته وأخذ بقصته.[١]

وقال أيضاً : كان حسن العشرة طّيب الخلق حافظاً لأنساب العرب، عارفا بخيولهم، طاهر اللسان والقلم، فما شتم أحدا قطّ ولا كتب بيده ما فيه أذى مسلم[٢].

تعدّى بعض أمراء صلاح الدين بن ايوب على رجل، وأخذوا ماله، فجاء إلى صلاح الدين فلم يأخذ له بيد، فجاء إلى قبر نور الدين وشقّ ثيابه، وحثا التراب على رأسه، وجعل يستغيث: يا نور الدين أين أّيامك؟! ويبكى.

فبلغ صلاح الدين فاستدعاه وأعطاه ماله، فازداد بكاؤه، فقال له صلاح الدين: ما يبكيك وقد أنصفناك؟ فقال: إّنما أبكى على ملك أُنصفتُ ببركاته وبعد موته، كيف يأكله التراب ويفقده المسلمون؟![٣].

المبحث الحادي عشر

عنايته بجنده وأمرائه

لم يكن صلاح الدين من القادة الذين يهملون جنودهم ويدعون أمرائهم ولا يسأل عنهم، بل تجاوز الحد إلى أن يسأل عنهم حتى وهم في راحتهم أو إجازتهم، يقول ابن شداد: وكان يسأل الواحد منا عن مرضه ومداواته وطعمه ومشربه وتقلبات أحواله.[٤]

ويقول الأستاذ المرحوم محمد كرد علي في كتابه خطط الشام: " كان صلاح الدين يعني بجنده ويسأل عن صحة أمرائه ومن دونهم في راحتهم ومنامهم وأكلهم وشربهم. حارب المحارب مدة معينة ثم يذهب إلى ذويه على أرق الأصول المتعارفة في الحروب الحديثة، والغنائم تقسم بين المتحاربين بحيث يغتني أفرادهم وجماعاتهم

---

(١) . ابن شداد: النوادر السلطانية: (ص١٤).

(٢) . نفسه.

(٣) . النجوم الزاهرة: (٧٢/٦).

(٤) . النوادر السلطانية: (ص٣٢).

يدع مالهم من الأموال الدارة من أموال الجباية والرسوم على التجار وما خصوا به من الحرمة ورفعة الشأن ".[١]

ويقول أيضاً : " ..وكان يعطي دستوراً أن يسرح عسكره أوائل الشتاء ويبقي في شرذمة يسيرة في مقابل عدتهم الكثيرة ".[٢]

المبحث الثاني عشر

حبه للجهاد

كان –رحمه الله تعالى – مضرب المثل في الشجاعة والاقدام، والتضحية والفداء وقد شهد له بذلك الأعداء قبل الأصدقاء، لم يمنعه منصبه ومكانته بان يكون في مقدمة الجيوش المحاربة والصفوف المتقدمة، وفي ساحات النزال، وفي الدوريات والاستطلاعات اليومية، ولم يكن من القادة والملوك الذين يتربصون على كرسي الزعامة ويصدرون الأوامر والتوجيهات إلى أتباعهم وجنودهم ويقذفونهم إلى ساحات المعركة، وهم آمنون مسالمون، وهم القادة والأبطال والفرسان الشجعان في النصر والهزيمة.

وقد كان هذا البطل كما يذكر الأستاذ المرحوم محمد كرد علي:

" لابد له من أن يطوف حول العدو كل يوم مرة أو مرتين إذا كان قريباً منهم، وإذا اشتد الحرب يطوف بين الصفين ويخرق العساكر من الميمنة إلى المسيرة يرتب الصفوف ويأمرهم بالتقدم والوقوف في مواضع، وكان يشارف العدو ويجاورهم ".[٣]

ويقول ابن شداد: " لقد كان حبه للجهاد والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيماً، بحيث ما كان له حديث إلا فيه، ولا نظر إلا في آلته، ولا كان له اهتمام إلا برجاله، ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحث عليه، لقد هجر في محبة

---

(١) . خطط الشام: (ج٢، ص٦٤، ص٦٦).

(٢) . خطط (٢ج، ص٦٧)، ابن شداد: النوادر (ص١٩٢)، النجوم الزاهرة: (ج٦، ص١١).

(٣). خطط الشام: (ج٢ ،ص٦٩).

الجهاد في سبيل الله أهله وأولاده، ووطنه وسائر بلاده، وقنع من الدنيا بالسكون في ظل قيمة تهابها الرياح ميمنة وميسرة ".[١]

وقد كان كثيراً يقود الجيوش وهو يعاني الآم المرض، حيث لم يكن مرضه يمنعه من مفارقة ظهر الفرس أو تنظيم جيوشه.. وكان حين ينصحه أصحابه بالاستراحة (والنزول من ظهر فرسه) كان رحمه الله يرد عليهم: " **في الوقت الذي تمس قدمي الأرض أشعر بمرض** "[٢]، وكان القاضي ابن شداد يتعجب من ذلك فيرد عليه صلاح الدين قائلاً : " **إذا ركبت يزول عني ألمها**".[٣]

ويقول عبدالعزيز سيد الأهل: " انه لفارس ارتبط بمتن فرسه، ولم يفارقه كمنزل متنقل، أكثر من ربع قرن، حتى انه كان يمرض فيحملونه إلى الخيمة فيثقل عليه المرض، حتى إذا شدوه إلى ظهر حصانه اعتدل وعوفي أو نسي العلة؛ لأنه سكن إلى فراشه الوثير وركب صهوة ملكه وسلطانه.

ولقد أعوج ساقاه من كثرة ركوبه، فكان إذا مشي على الأرض عرج فلم ير أن يراه الناس إلا راكباً ، كما لم يره الناس منذ انفتحت عليه أبصارهم قد خلع لباس الجندي إلاّ مرة واحدة في دمشق، وكانت قبل وفاته بأيام".[٤]

المبحث الثالث عشر

مجالسه

---

(١). النوادر السلطانية: (ص٢١).

(٢) . محمد أمين زكي: مشاهير الكرد (ج١، ص٩).

(٣) . عبدالله ناصح علوان: كتاب صلاح الدين (ص١٤٢)، نقلا عن النوادر السلطانية.

(٤). عبدالعزيز سيد الأهل: أيام صلاح الدين (ص٢٥).

بينا أنه كان في خلواته يحب سماع القران الكريم أو قراءة شيء من الحديث النبوي الشريف، أما في مجالسه العامة فانه كان يستفتحها بتلاوة بعض آيات من القران الكريم، قبل أن يبدأ مجلسه.

يقول العماد الأصفهاني: "..... وكانت مجالسه متنزهة عن الهزء والهزل وحافلة بأهل العلم والفضل ويؤثر سماع الحديث، وكان من جالسه لا يعلم أنه جالس سلطانه لتواضعه" [١] ، ومع هذا كان السلطان في مجالسه يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، يقول الأصفهاني: "ورأى معي يوماً دواة محلاة بفضة فأنكر علي وقال: ما هذا؟ فلم أكتب بها عنده بعدها ".[٢]

ويقول ابن شداد: "وكان طاهر المجلس لا يذكر بين يديه احد إلاّ بخير، وطاهر السمع فلا يحب أن يسمع عن أحد إلا بخير، وطاهر اللسان فما رأيته يشتم قط، وطاهر القلم فما كتب بقلمه إيذاء مسلم قط ".[٣]

ويقول ابن خلكان: وكان يستحسن الأشعار الجيدة ويرددها في مجلسه منها يقول ابن إسحاق الحميري:

وزارني طيف من أهوى على حذر من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولي به فرحا وكاد يهتك ستر الحب بي شغفاً
ثم انتبهت وآمالي تخيل لي نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا[٤]

وكان يعجبه قول ابن المنجم المغربي وهو في خضاب الشعب:

وما خَضبت الناس البَياض لقبره وأقبَح فيه حين يَظهر ناصِله
ولكن مات الشَبابَ فَسوَّدتْ على الرسم من حَزنٍ عليه مُنازله

---

(١). النجوم الزاهرة (ج٦، ص٩).

(٢) . النجوم الزاهرة (ج٦، ص٩)، الأصفهاني: الفتح القسي (ص٦٥٩).

(٣) . النوادر السلطانية. (ص٣٤).

(٤) . وفيان الأعيان (ج٧، ص٢٠٧)، النجوم الزاهرة (ج٦، ص٥٦).

قالوا: فكان إذا قال مات الشباب: يمسك كريمته وينظر إليها ويقول: أي والله مات الشباب.[١]

وأيضاً كان يردد قول ابن الشحنة:

أيها الغائبون عنا وان كنـ تم تقلبي بذكركم جيرانا

إنني منذ فارقتكم لاراكم بعيون الضمير عندي عيانا.[٢]

قيل أنه كان في أول ملكه كتب هذين البيتين إلى بعض أصحابه بدمشق.[٣]

المبحث الرابع عشر

زهده

كان – رحمه الله تعالى– عازفاً عن الدنيا وزينتها، لم تفتنه أموال ملكه الواسع، ولم تغره أبهة الملك، وعظمة السلطة فمن أقواله: " **إن المال والتراب سيان عندي**"[٤] ، ومما يدل على انقطاعه عن زينة الدنيا ومباهجها ما يقول كاتبه العماد الأصفهاني إذ يقول: " لم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موعود به وصاحبه ملازم في طلبه، وما حضر اللقاء إلا استعار فرساً فركبه وهجر جياده، فإذا نزل جاء صاحبه فاستعاده..."[٥].

وقيل أن والي الشام بنى قصرا منيفاً بديعاً له، فنظر إليه ولم يكترث به، ثم قال: " **ما كنا لنجلس في هذا المكان إلى الأبد، فهذا المنزل لا يصلح لمن يطلب الموت،**

---

(١) . ابن خلكان: (ن.م) (ج٧، ص٢٠٨)، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة (ج٦، ص٥٦).

(٢) . ابن خلكان: (ن.م) ابن تغري بردي (ن.م).

(٣) . ابن تغري: (ن.م) (ج٦، ص٥٦).

(٤) . علوان: ص١٥٦، نقلاً عن أحمد بيلي: حياة صلاح الدين (ص٢١٤).

(٥) . العماد الأصفهاني: الفتح القسي (ص٦٥٦).

وما نحن هنا إلا لنقوم بخدمة الله سبحانه "،[1] أو بعبارة أخرى: " .. **هذا القصر ليس لائقا لشخص يقترب منه أجله، غرضنا خدمة الله ليس غير**"[2].

المبحث الخامس عشر

عطفه وشفقته

كان – رحمه الله تعالى– سريع الدمعة عظيم الشفقة حتى مع أعدائه، قيل انه كان للمسلمين لصوص يدخلون منازل الفرنج بالليل ويسرقونهم، فسرقوا ليلة صبياً فباتت أمه تبكي طول الليل، فقال لها الفرنج: أن سلطانهم رحيم القلب فاذهبي إليه، فجاءته وهو على تل الخروبة (حصن بأهل الشام مشرف على عكا) ـ راكب، فعفرت وجهها وبكت، فسأل عنها، فأخبر بقصتها، فرق لها ودمعت عيناه، وتقدم إلى مقدم اللصوص بإحضار لطفل، ولم يزل واقفاً حتى أحضروه، فلما رأته بكت وشهقت وأخذته وأرضعته ساعة وضمته إليها، وأشارت إلى ناحية الفرنج فأمر أن تحمل على فرس وتلحق بالفرنج ففعلوا.[3]

ومن علامات عطفه وشفقته ما حصل سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م) حين أحضروا إليه خمسة وأربعون نفراً صليبياً من بيروت، وقعوا في الأسر، وكان بينهم شيخ طاعن في السن، لم يبق في فمه ضرس، ولدى إحضاره أمام صلاح الدين طلب من الترجمان أن يسأله عن السبب الذي حمله على القدوم في الشرق وهو في هذا العمر، وغيرها من الأسئلة، فأجاب الصليبي الهرم أن سبب مجيئي كان للحج إلى كنيسة القيامة في أور شليم.

---

(١) . علوان: (ص١٥٦)، نقلاً عن أحمد بيلي: (ن.م).

(٢) . مشاهير الكرد: (ج١، ص٨).

(٣). ابن شداد: النوادر السلطانية: (ص١٥٨). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة (ج٦ ،ص١١). والحنبلي: شفاء القلوب، (ص٦٥).

فرق له السلطان صلاح الدين، وأجزل له العطاء ومنّ عليه وأطلقه وأعاده راكباً على فرس إلى معسكر العدو.[1]

المبحث السادس عشر

وصيته لابنه الملك الظاهر

قال –رحمه الله تعالى– وهو يوصي ابنه:

ومن جملة هذه الوصايا:

١– أوصيك بتقوى الله تعالى فإنها رأس كل خير.

٢– وأمرك بما أمرك الله به فانه سبب نجاتك.

٣– واحذر من الدماء والدخول فيها، والتقلد بها فان الدم لا ينام.

٤– وأوصيك بحفظ قلوب الرعية والنظر في أحوالهم، فأنت أميني وأمين الله عليهم.

٥– وأوصيك بحفظ قلوب الأمراء وأرباب الدولة والأكابر، فما بلغت إلا بمداراة الناس.

٦– ولا تحقد على أحد فان الموت لا يبقي على احد.

٧– واحذر ما بينك وبين الناس فانه لا يغفر إلا برضاهم، وما بينك وبين الله يغفره الله بتوبتك إليه فانه كريم.[2]

المبحث السابع عشر

قول الموفق عبداللطيف البغدادي الرحالة فيه

قال: "رأيت السلطان صلاح الدين على القدس فرأيت ملكاً عظيماً يملأ القلوب روعه والعيون محبه، قريباً، بعيداً، سهلاً، محبباً، وأصحابه يتشبهون به يتسابقون إلى المعروف كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ (الحجر:٤٧) وأول ليلة

---

(١) . الصلابي: صلاح الدين الأيوبي (ص٣٩٧)، د.صلاح عبدالتواب سعداوي: ١٠٠ قصة وقصة من حياة صلاح الدين (ص٧٥).

(٢) . محمد أمين زكي: مشاهير الكرد (ج١، ص٨). سعيد عبدالفتاح عاشور: الناصر صلاح الدين (ص٢٧٧).

حضرته وجدته مجلسا حافلاً بأهل العلم يتذاكرون في أصناف العلوم وهو يحسن الاستماع والمشاركة، ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ويتفقه في ذلك، وكان مهتماً في بناء سور القدس وحفر خندقه يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه ويتأسى به جميع الأغنياء والفقراء فيركب لذلك قبل طلوع الشمس إلى وقت الظهر ويأتي داره.. ثم يستريح ويركب العصر ويرجع في ضوء المشاعل، ويصرف أكثر الليلة في تدبير ما يعمله نهاراً ...)).[١]

المبحث الثامن عشر
أخلاق وصفات أخرى

كان رحمه الله تعالى:

- يغلظ على الكافرين الفاجرين، ويلين للمؤمنين المتقين.[٢]
- يؤثر سماع الحديث بالأسانيد، وتكلم العلماء عنده في العلم الشرعي المفيد، وكان مداومة الكلام مع الفقهاء ومشاركة القضاة في القضاء اعلم منهم بالأحكام الشرعية والأسباب المرضية والأدلة المرعية.[٣]
- من جالسه لا يعلم أنه جليس السلطان بل يعتقد انه جليس أخ من الإخوان، وكان حليماً مقيلاً للعثرات، متجاوز عن الهفوات، نقياً تقياً، وفيا صفياً يفضي ولا يغضب ويبشر ولا يتقطّب، ما رد سائلاً ولا صد نائلاً ولا اخجل قائلاً ولا خيب أملاً.[٤]
- كان كثير التعظيم لشعائر الدين..، مبغض الفلاسفة والمعطلة والدهرية ومن يعاند الشريعة، حسن الظن بالله كثير الاعتماد عليه عظيم الإنابة إليه.[٥]

---

(١) . السبكي: طبقات الشافعية: (ج٧، ص٣٤٧، ٣٤٨). والذهبي: سير أعلام النبلاء (ج٢١، ص٢٨٢). وأيام صلاح الدين (ص٥٠).

(٢) . العماد الأصفهاني: الفتح القسي (ص٦٥٧).

(٣) . نفسه.

(٤) . نفسه.

(٥) . ابن شداد: (ص٩، ص١٠).

- دقيق القلب، خاشع الدمعة، إذا سمع القران يخشع قلبه وتدمع عينه في معظم أوقاته.[١]
- كان عادلاً رؤوفاً رحيماً ناصراً للضعيف على القوي.[٢]
- رؤوفاً بالرعية بما فيه عاملا به لا يملوه أبداً .[٣]
- حسن العشرة لطيف الأخلاق طيب الفكاهة حافظاً لأنساب العرب ووقائعهم، ومصيرهم وأحوالهم. علماً بمصائب الدنيا ونوادرها.[٤]
- حسن العهد والوفاء، وكان لا يرى شيء إلا ويرق له ويعطيه ويحسن إليه.[٥]
- حليماً كريماً كثير الخير والإحسان، وكان كثير الحياء، لم يكلمه جليساً له إلا وهو مطرق، وما قال في شيء مسألة إلا حياءًوكرم طبع.[٦]
- ما يلبس إلا ما يحل لبسه كالكتان والقطن والصوف ومن ماله.[٧]
- كريماً حليما رحيماً، حسن الأخلاق متواضعاً صبوراً لطيفاً .[٨]
- لا يتكبر على أحد من أصحابه، وكان يعيب الملوك المتكبرين بذلك، وكان يحضر عنده الفقراء والصوفية ويعمل لهم السماعات والأوقاف.[٩]
- مع هذه المملكة المتسعة والسلطنة العظيمة كثير التواضع واللطف قريباً من الناس، رحيم القلب كثير الاحتمال والمداراة.. وكان يميل إلى الفضائل ويستحسن الأشعار الجيدة ويرددها في مجلسه.[١]

---

(١) . نفسه.

(٢) . نفسه: (ص١٣).

(٣) . نفسه: (ص١٣).

(٤) . نفسه: (ص٣٤).

(٥) . نفسه.

(٦) . الاشرف الغساني: العسجد المسبوك (ص٢٢٣).

(٧) . ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب (ج٤، ص٢٩٨).

(٨) . ابن دقماق: الجوهر الثمين (ج٢، ص١٧).

(٩) . ابن الاثير الكامل (ج٩، ص٢٢٦)، ويراجع أيضاً ابن دقماق: (ن.م).

- مجلسه يجمع الفضلاء والفقراء، وأصحابه كأنما هم على قلب رجل واحد محبة فيه.[٢]
- يحترم أصحابه ورعيته، وكانوا يقابلونه بالطاعة في كل ما يقول، وكان إذا رأى نقصاً من أحدهم لا يجابههم به أبداً .[٣]
- قليل الكلام والمقربون منه أيضاً كانوا يحذون حذوه.[٤]
- لا يتمكن من ضبط عواطفه الجياشة حين يرى يتيماً يائساً، ولا يحول دون انسكاب دموع الشفقة والرحمة من عينيهحين يرى شيخاً طاعناً .[٥]
- تمسك بالعدالة إلى أقصى درجة فكان يعاقب كل من خالفها.[٦]
- وكان همه الأكبر نصر الإسلام.[٧]
- وكانت عنده فضيلة تامة في اللغة والأدب وأيام الناس.[٨]
- وكان يفهم ما يقال بين يديه من البحث والمناظرة، ويشارك فيها.[٩]
- لا تأخذه في الله لومة لائم.[١٠]
- كان مع أشجع الناس واقواهم بدناً وقلباً مع ما كان يعتري جسمه من الأمراض والأسقام.[١]

---

(١) . ابن خلكان: وفيان الأعيان (ج٧، ص١٣٩).

(٢) . السبكي: طبقات الشافعية (ج٧، ص٣٤٠).

(٣) . محمد أمين زكي: مشاهير الكرد (ج١، ص١٠).

(٤) . نفسه.

(٥) . نفسه.

(٦) . نفسه.

(٧) . نفسه.

(٨). النعيمي: الدارس في المدارس (ج٢، ص١٤٣).

(٩) . نفسه.

(١٠) . نفسه.

○ كان يزداد قوة وشجاعة كلما ازداد عدد العدو المقابل.[٢]

المبحث التاسع عشر

وفاته

توفي – رحمه الله تعالى– بالحمى الصفراوية، وقد اشتد عليه في الأيام الأخيرة من حياته، وكان يوم السابع والعشرين من صفر سنة (٥٨٩هـ/ ٤– آذار – ١١٩٣م). هو آخر يوم في حياة هذا البطل العظيم بعد أن بلغ السابعة والخمسين من عمره.

يقول الإمام أبو جعفر القرطبي: "... إنني انتهيت في قراءة القران إلى قوله تعالى:﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (الحشر: الآية ٢٢)، فسمعت صلاح الدين وهو يقول: صحيح، وكانت هذه يقظة الحاجة، واني لما بلغت الآية ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ (الرعد: الآية ٣٠)، تبسم وتهلل وجهه، وقد كان ذهنه قبل ذلك غائباً، ثم انسحبت الروح إلى باريها. بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء".[٣]

ويقول القاضي ابن شداد، واصفاً ذلك اليوم: " ..وكان يوماً لم يصب الإسلام والمسلمون بمثله، منذ أن فقدوا الخلفاء الراشدين، وغشي القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وبالله لقد كنت اسمع من بعض الناس إنهم يتمنون فداءه بنفوسهم، وما سمعت هذا الحديث إلا بضرب من التجوز والترخص إلا في ذلك اليوم، فاني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو قبل الفاء لفدى بالنفس.. وكان أولاده يخرجون مستغيثين إلى الناس فتكاد النفوس تزهق لهول منظرهم، ودام الحال على ذلك إلى بعد صلاة الظهر.. وكان نزوله في حفرته . قدس الله روحه ونور ضريحه . قريباً

---

(١) . السبكي: طبقات الشافعية (ج٧ ص٣٤٠).

(٢) . ابن كثير: البداية والنهاية (ج١٣، ص٥)، بتصرف.

(٣) . نفسه.

من صلاة العصر.. فما وجد قلب الآخرين، ولا عين إلا باكية إلا ما شاء الله. ثم رجع الناس إلى بيوتهم أقبح رجوع ".[1]

ويصف القاضي الفاضل ذلك اليوم برسالة يكتبها إلى ولده الملك الظاهر، جاء فيها: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب: الآية ٢١) ، ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحج: الآية ١).

كتبتُ إِلَى مولانا السّلطان الملك الظّاهر، أحسن اللّه عزاءه، وجَبر مُصابه، وَجَعل فِيه الخَلَف في للملك المرحوم، وَقَد زُلزِل المسلمون زلزالا شديدا، وَقَد حفرت الدموعُ المحاجر، وبلغت القلوبُ الحناجر. وَقَد ودَّعت أباكَ ومخدومي وداعا لا تلاقي بعده، وقّبلت وجهه عنّي وعنك، وأسلمته إِلَى اللّه تَعالَى، مغلوبَ الحيلة، ضعيف القوّة، راضيا عَنِ اللّه، ولا قوَّة إلّا باللّه، وبالباب مِنَ الجنود المجنَّدة، والأسلحة المعّدة، ما لَم يدفع البلاء ولا ما يردّ القضاء، تدمع العين، ويخشع القَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إلاّ مَا يُرضِي الرَّبَّ، وإنّا عليك يا يوسف لمحزونون ..."[2].

ويضيف القاضي: وقد كتبت على قبره هذه العبارة:

" اللهم فأرضى عن تلك الروح، وافتح له أبواب الجنة، فهو آخر ما كان يرجوه من الفتوح".[3]

المبحث العشرون

ما خلّف من الإرث

لم يترك في خزانته من الذهب ديناراً واحداً وستة وثلاثين درهما وقيل سبعة وأربعين درهماً ولم يترك داراً ولا عقاراً ولا مزرعة ولا بستاناً، ولا شيئاً من أنواع

---

(١) . أبو شامة: الروضتين (ج٢، ص٢١٣) بتصرف، الذهبي: سير أعلام النبلاء (ج٢١ ،ص٢٨٧).

(٢) . النجوم الزاهرة: (ج٦/ص٥٢)، الصلابي: صلاح الدين الأيوبي (ص٦٤٥).

(٣) . أحمد بن إبراهيم الحنبلي: شفاء القلوب (ص١٨٦).

الأمـلاك. . .وإنمـا لـم يخلـف أمـوالاً ولا أملاكـاً لجـوده وكرمـه وإحسـانه إلـى أمرائـه وغيرهم، حتى إلى أعدائه وقد كان متقللاً في ملبسه، ومأكله ومركبه، وكان لا يلبس إلا القطن والكتان والصوف، ولا يعرف أنه تخطي إلى مكروه، ولا سيما بعد أن أنعم الله عليه بالملك، بل كان همه الأكبر ومقصده الأعظم نصرة الإسلام، وكسر أعدائه اللئام، وكان يعمل رأيه في ذلك وحده، ومع من يثق به ليلا ونهارا، وهذا مع ما لديه من الفضائل والفواضل، والفوائد الفرائد، في اللغة والأدب وأيام الناس.[1]

المبحث الحادي والعشرون

رثائه

١-قال العماد الأصفهاني يرثيه بقصيدة جاء فيها:

ثَـلْمُ الهُـدى والمُلـكِ عَـمَّ شَـاتُه	والـدَّهرُ سـاء وأقلعـت حسـناته
أيـن الـذي مُـذْ لـم يـزل مخشـية	مرجـوّة هبَّاتُـه وهِباتـه
أيـن الـذي كانـت لـه طاعاتنـا	مبذولـة ولربِّـه طاعاتـه
بـالله أيـن النّاصـر الملـك الـذي	لله خالصـة صـفت نيّاتُـه
أيـن الـذي مـا زال سُـلطانا لنـا	يرجـى نَـدَاه وتُتَّقـى سَـطَواته
ـي نصـرة الإسـلام يسـهر دائمـاً	ليطـول فـي روض الجنـان سُـبَاتُه
لا تحسـبوه مـات شـخص واحـدٌ	فممـات كـل العـالمين مماتـه
أيـن الـذي شـرف الزمـان بفضـله	وسـمت علـى الفضـلاء تشـريفاته
أيـن الـذي عنـت الفـرنج لبأسـه	ذلا ومنهـا أدركـت ثاراتـه
أغـلال أعنـاق العـدى أسـيافه	أطـواق أجيـاد الـورى مناتـه
لـم يجـد تـدبير الطبيـب وكـم وكـم	أجـدت لطـب الـدهر تدبيراتـه
مـن فـي الجهـاد صـفاحه مـا أغمـدت	بالنصـر حتـى أغمـدت صـفحاته
مـن فـي صـدور الكفـر صـدر قناتـه	حتـى تـوارت بالصـفيح قناتـه

(١) . البداية والنهاية (ج١٣/ص٤، ص٥).

لـذا المتاعـب فـي الجهـاد ولـم تكـن مـــذ عـــاش قـــط لذاتـــه لذاتـــه

مســـــعودة غدواتـــــه محمـــــودة روحاتـــــه ميمونـــــة ضـــــحواته

فـــي نصـــرة الإســـلام يســـهر دائمـــا ليطـــول فـــي روض الجنـــان ســـباته

لا تحســـبوه مـــات شـــخص واحـــد فممـــات كـــل العـــالمين مماتـــه

ملـــك عـــن الإســـلام كـــان محاميـــا أبـــدا لمـــاذا أســـلمته حماتـــه

(قـد أظلمـت مـذ غـاب عنهـا دوره لمـــا خلـــت مـــن بـــدره داراتـــه

دفـــن الســـماح فلـــيس تنشـــر بعـــدما أودى إلـــى يـــوم النشـــور رفاتـــه

الـــدين بعـــد أبـــي المظفـــر يوســـف أقـــوت قـــواه وأقفـــرت ســـاحاته

جبـل تضعضـع مـن تضعضـع ركنـه أركاننـــــا وتهـــــدنا هداتـــــه

مـــا كنـــت أعلـــم أن طـــودا شـــامخا يهـــوي ولا تهـــوي بنـــا مهواتـــه

مـــا كنـــت أعلـــم أن بحـــرا طاميـــا فينـــا يطـــم وتنتهـــي زخراتـــه

بحـــر خـــلا مـــن واديـــه ولـــم تـــزل محفوفـــــة بوفـــــوده حافاتـــــه

مـــن لليتـــامى والأرامـــل راحـــم متعطـــف مفضوضـــة صـــدقاته

لـــو كـــان فـــي عصـــر النبـــي لأنزلـــت فـــي ذكـــره مـــن ذكـــره آياتـــه

فعلـــى صـــلاح الـــدين يوســـف دائمـــا رضـــوان رب العـــرش بـــل صـــلواته

لضـــريحه ســـقيا الســـحاب فـــإن يغـــب تحضـــر لرحمـــة ربـــه ســـقياته

وكعـادة البيـت المقـدس يحـزن البيـت الحـــرام عليـــه بـــل عرفاتـــه

مـــن للثغـــور وقـــد عـــداها حفظـــه مـــن للجهـــاد ولـــم تعـــد عاداتـــه

بكـــت الصـــوارم والصـــواهل إذ خلـــت مـــن ســـلها وركوبهـــا غزواتـــه

وبســـيفه صـــدأ لحـــزن مصـــابه إذ لـــيس يشـــفى بعـــده صـــدياته

يـــا وحشـــتا للبـــيض فـــي أغمادهـــا لا تنتضـــيها للـــوغى عزماتـــه

يـــا وحشـــة الإســـلام يـــوم تمكنـــت فـــي كـــل قلـــب مـــؤمن روعاتـــه

يـــا حســـرتا مـــن يـــأس راجيـــه الـــذي يقضـــى الزمـــان ومـــا انقضـــت حســـراته

مـــلأت مهابتـــه الـــبلاد فإنـــه أســـــد وإن بـــــلاده غاباتـــــه
مـا كـان أسـرع عصـره لمـا انقضـى فكأنمـــــا ســـــنواته ســـــاعاته
لـم أنـس يـوم السـبت وهـو لمـا بـه يبـدي السـبات وقـد بـدت غشـياته
والبشـــر منـــه تبلجـــت أنـــواره والوجـــه منـــه تـــلألأت ســـبحاته
ويقـــول لله المهـــيمن حكمـــه فـــي مرضـــه حصـــلت بهـــا مرضـــاته
وقـف الملـوك علـى انتظـار ركوبـه لهـــم ففـــيم تـــأخرت ركباتـــه
والغـــرب منتظـــر طلوعـــك نحـــوه حتـــى تفـــيء إلـــى هـــداك بغاتـــه
والشـرق يرجـو غـرب عزمـك ماضـيا فـــي ملكـــه حتـــى تطيـــع عصـــاته
مغـــرى بإســـداء الجميـــل كأنمـــا فرضـــت عليـــه كالصـــلاة صـــلاته
هـــل للملـــوك مضـــاؤه فـــي موقـــف شـــدت علـــى أعدائـــه شـــداته
وإذا الملـــوك ســـعوا وقصـــر ســـعيهم رجحـــت وقـــد نجحـــت بـــه مســـعاته
كـــم جـــاءه التوفيـــق فـــي وقعاتـــه مـــن كـــان بـــالتوفيق توقيعاتـــه
يـــا راعيـــا للـــدين حـــين تمكنـــت منـــه الـــذئاب وأســـلمته رعاتـــه
مـا كـان ضـرك لـو أقمـت مراعيـا دينـــا تـــولى مـــذ رحلـــت ولاتـــه
أضـــجرت منـــا أم أنفـــت فلـــم تكـــن ممـــن تصـــاب لشـــدة ضـــجراته
أرضـيت تحـت الأرض يـا مـن لـم تـزل فـــوق الســـماء عليـــة درجاتـــه
فارقـــت ملكـــا غيـــر بـــاق متعبـــا ووصـــلت ملكـــا باقيـــا راحاتـــه
أعـزز علـى عينـي برؤيـة بهجـة الـدنيا ووجهـــــك لا تـــــرى بهجاتـــــه
أبنـــي صـــلاح الـــدين إن أبـــاكم مـــا زال يـــأبى مـــا الكـــرام أباتـــه
لا تقتـــــدوا إلا بســـــنة فضـــــله لتطيـــب فـــي مهـــد النعـــيم ســـناته
وردوا مـــوارد عدلـــه وســـماحه لتـــرد عـــن نهـــج الشـــمات شـــماته
ولـــئن هـــوى جبـــل لقـــد بنيـــت لنـــا ببنيـــه مـــن هضـــباته ذرواتـــه
وبفضـــل أفضـــله وعـــز عزيـــزه وظهـــور ظـــاهره لنـــا ســـرواته

الأفضل الملك الذي ظهرت على الدنيا بزهـــــر جلالـــــه جلواتـــــه
والـــدين بالملـــك العزيـــز عمـــاده عثمـــان حاليـــة لنـــا حالاتـــه
والملـك غـازي الظـاهر العـالي الـذي صـــحت لاظهـــار العلـــى مغزاتـــه
ولنـــا بســـيف الـــدين أظهـــر نصـــرة بالعـــادل الملـــك المطهـــر ذاتـــه
علـــى صـــلاح الـــدين يوســـف دائمـــاً رضـــوان ربـــي العـــرش بـــل صـــلواته [1]

وقال أيضاً في قصيدة أخرى:

مـــن للعـــلا مـــن للـــذرى مـــن للهـــدى يحميـــه مـــن للبـــأس مـــن للنائـــل
طلـــب البقـــاء لملكـــه فـــي آجـــل إذ لـــم يثـــق ببقـــاء ملـــك العاجـــل
بحـــر أعـــاد البـــر بحـــرا بـــره وبســـيفه فتحـــت بـــلاد الســـاحل
مـــن كـــان أهـــل الحـــق فـــي أيامـــه وبعـــزه يـــردون أهـــل الباطـــل
وفتوحـــه والقـــدس مـــن أبكارهـــا أبقـــت لـــه فضـــلا بغيـــر مســـاجل
مـــا كنـــت أستســـقي لقبـــرك وابـــلا ورأيـــت جـــودك مخجـــلا للوابـــل
سَـــقاك رضـــوان الإلـــه لأننـــي لا أرتضـــي ســـقيا الغمـــام الهاطـــل [2]

٢- وقال ابن شمس الخلافة في قصيده رثاه، جاء فيها:

الستَ ترى كيف أنبرى الخطبُ ثائراً ومـــدّ يـــدا مـــن إلـــى رافـــع الخطـــب
إلـى ألناصـر الملـك الـذي ملئـت بـه قلـوب البرايـا مـن رجـاء ومـن رعـب
كـريم أتـاه المـوت ضـيفاً فلـم يكـن لينزلـــه الأعلـــى الســـهل والرحـــب
ولـو خـاب منـه قبـل ذلـك سـائل لخـاب ولـيس البخـلُ مـن شـيم السـحب
أفـاض علـى الـدنيا سـجال نوالـه ففاضـت عليـه أعـين العجـم والعـرب[3]

---

(١). الروضتين (ج٤/ص٣٧٠- ٣٧٤)، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

(٢) . الروضتين: (ج٤، ص٣٧٤)، مؤسسة الرسالة.

(٣) . الروضتين: (ج٢، ص٢١٧).

الفصل الثالث

بعض ما قيل في صلاح الدين

المبحث الأول

مدحه ً شعرا

مدحه شعراء كثيرون من المعاصرين له، حيث لم تمر معركة أو موقعة، أو فتح حصن أو مدينة، أو صفة من صفاته كعدله وكرمه، وحلمه و زهده، وجهاده وقتاله، وعفوه وتسامحه... إلا ومدحه الشعراء .

ومن الذين مدحوه:

- أبو علي علم الدين الشاتاني الدياربكري بقصيدة أولها:

أرى النصر مقروناً برايتك الصفرا ... سر واملك الدنيا فأنت بها أحرى [1]

- أبو حفص المهذب ابن الشحنة: بقصيدته التي أولها:

سلامٌ مشوّقُ قد براه التشوقُ ... على جيرةِ الحيّ الذين تفرقوا

واني امرؤ أحببتكم لمكارم ... سمعت بها والأذن كالعين تعشقُ

وقالت لي الآمال إن كنت لاحقاً ... بأبناء أيوب فأنت الموفقُ [2]

- وقال عمارة اليمني بقصيدة منها:

لك الحسبُ الباقي على عقب الدهر ... بل الشرف الراقي إلى قبة النسر

نهضتم بأعباء الوزارة نهضة ... أقلتم بها الأقدام من زلة العثر

حمى الله فيكم عزمة أسديه ... فككتم بها الإسلام من ربقة الأسر [3]

- وللحكيم عبدالمنعم الجلياني في مدحه:

أبو المظفر آوى كل مضطهد ... بحكمه ونداه يعذبُ المثلُ

---

(١). الروضتين: (ج٢، ص٢٢٤).

(٢). سير أعلام النبلاء: (ج٢١، ص٢٨٧).

(٣). النجوم الزاهرة: (ج٦، ص٥٨).

ملـــك تقلـــد ســـلك منتظمـــاً وقـــال للمـــال هـــذا منـــك بـــدلُ
ففـرق المـال جمعـاً للقلـوب بـه وحسـبه فـيهم إدراك مـا سـألوا [1]

○ وللعماد الأصفهاني قصائد، منها هذه الأبيات:

بفتـوح عصـرك يفخـر الإسـلام وبنـور نصـرك تشـرق الأيـام
أسـدى صـلاح الـدين والـدنيا يـدا بنوالهـا سـوق الرجـاء تقـام
دُم للعـلا حتـى يـدوم نظامهـا واسـلم يعِـزّ بنصـرك الإسـلام [2]

وله أيضاً :

يـا صـلاح الـدين الـذي أصـلح الفـا ـسد بالعـدل مـن خطـوب الزمـان
أنـت أجريـت نيـل مصـر إلـى الشـام نـوالاً أم سـال نيـل ثـاني
وعلـى نيلهـا لكفيـك فضـل فهمـا بالنضّـار جاريتـان [3]

وله أيضاً عند فتح بيت المقدس:

أطيـب بأنفـاس تطيـب لكـم نفسـا وتعتـاض مـن ذكـراكم وحشـتي أنسـا
وأسـأل عـنكم عافيـات دوارس غـدت بلسـان الحـال ناطقـة خرسـا
معاهـدكم مـا بالهـا كعهـودكم وقـد كـررت مـن درس آثارهـا درسـا
رأيـت صـلاح الـدين أشـرف مـن غـدا وأفضـل مـن أضـحى واكـرم مـن أمسـى
وقيـل لنـا فـي الأرض سـبعة أبحـر ولسـنا نـرى إلا أناملـه الخمسـا
سـجيته الحسـنى وشـيمته الرضـا وبطشـته الكبـرى وعزتـه القعسـا
فـلا عـدمت أيامنـا منـه مشـرقا ينيـر بمـا يـولي لياليـنا الدمسـا
جنـودك أمـلاك السـماء وظـنهم عداتك جن الأرض في الفتك لا الإنسا
فـلا يسـتحق القدس غيـرك فـي الـورى فأنـت الـذي مـن دونهـم فـتح القدسـا

---

(١). أبو شامة: الروضتين: (ج١، ص١٦٣).
(٢) . نفسه: (ج١، ص١٦٤).
(٣) . علوان: صلاح الدين: (ص٥٨).

ومن قبل فتح القدس كنت مقدسا ... فلا عدمت أخلاقك الطهر والقدسا
وطهرته من رجسهم بدمائهم ... فأذهبت بالرجس الذي ذهب الرجسا
نزعت لباس الكفر عن قدس أرضها ... وألبستها الدين الذي كشف اللبسا
وعادت ببيت الله أحكام دينه ... فلا بطركا أبقيت فيها ولا قسا
وقد شاع في الآفاق عنك بشارة ... بأن أذان القدس قد بطل النقسا
جرى بالذي تهوى القضاء وظاهرت ... ملائكة الرحمن أجنادك الحمسا
وكم لبني أيوب عبد كعنتر ... فإن ذكروا بالبأس لا يذكروا عبسا
وقد طاب ريانا على طبرية ... فياطيبها مغنى ويا حسنها مرسى[1]

○ وجيش الأسدي في فتحه لدمشق:

قد جاءك النصر والتوفيق واصطحبا ... فكن لأضعاف هذا النصر مرتقبا
لله أنت صلاح الدين من أسد ... أدنى فريسته الأيام إن وثبا
هذا الذي نصر الإسلام فاتضحت ... سبلُهُ وأهان الكُفْر والصُلبا
يستكثر المدح يُتلى في مكارمه ... زهداً ويستصغر الدنيا إذا وهبا
والشام لو لم تدارك أهله أندَرست ... آثاره وعفتْ أياته حُقباً [2]

○ ولأسامة بن منقذ عند فتحه مصر:

ديار الهوى حيا معالمك القطر ... وجادك وجود الناصر الغدقُ الهمرُ
به رجعت في عنفوان شبابها ... ونضرتها من بعد ما هرمت مصرُ
وكم خاطب ردّته لم يك كفؤها ... إلى أن أتاها خاطب سيفه المهرُ
حماها حمى الليث العرين وصانها ... كما صان عينا من ملم القذى شفرُ
وكان بها بحراً أجاج فأصبحت ... ومن جوده العذب النمير بها بحرُ [3]

---

(١) . الروضتين: (ج١ ص١٧٦).
(٢) . نفسه (ج٢، ص١٠٢).
(٣) . علوان: (ص٤٤).

○ نجم الدين بن نبهان العراقي بقصيدة منها: (فتح القدس)

فيـــا آل أيـــوب حـــويتم مناقبـــا بأخمصـــها تعلـو علـى الأنجـم الزهـر
إذا عـــد أربـــاب الفخـــار فـــأنتم ذوو الفعـــلات الغـــر والنائـــل الغمـــر
وأنـت الـذي أصـبحت بالبـأس والتقـى وبذل اللهى عالي السنا عطر الذكر [١]

○ أبو الحسن بن جبير الأندلسي، بقصيدة منها: (فتح القدس)

هـــو منقـــذ البيـــت المقـــدس بعـــدما طالـــت فمـــا وجـــد الشـــفا شـــكاته
بيـــت تأســـس بالســـكون وإنمـــا عنـــد الزحـــاف تحركـــت ســـكناته
أمشـــتت الأعـــداء وهـــي جحافـــل عـــن شـــمل ديـــن جمعـــت أشـــتاته
أوتيـت عزمـا فـي الحـروب مسـددا لا زيغـــــه يخشـــــى ولا هفواتـــــه
أحســـنت بالبيـــت العتيـــق ويثـــرب ولـــك الفعـــال كثيـــرة حســـناته
هـــذي ســـيوفك محرمـــات دونـــه لبكـــائهن تبســـمت حجراتـــه[٢]

○ أبو علي حسن بن علي الجويني بقصيدة منها: (فتح القدس)

جنـد السـماء لهـذا الملـك أعـوان مـن شـك فـيهم فهـذا الفـتح برهـان
متـى رأى النـاس مـا نحكيـه مـن زمـن وقـد مضـت قبـل أزمـان وأزمـان[٣]

○ ابن التعاويذي بقصيدة منها:

يـا سـلُم أن ضـاعت عهـودي عنـدكم فأنـا الـذي اسـتودعتُ غيـر أمـينِ
هيهـات مـا للبـيض فـي ود امـرئٍ أَرب وقـد أربـى علـى الخمسـين
ليـت الضـنين علـى المحِـب بوصِـله لقـن السـماحة مـن صـلاح الـدين[٤]

وله أيضاً :

ملـــك ترفـــع عَـــن ضـــريب قـــدره فإليـــه أكبـــاد الرَّواحِـــل تضـــرب

---

(١) . الروضتين: (ج١، ص١٧٧).
(٢). نفسه: (ج٢، ص١٠٢).
(٣) . نفسه: (ج٢، ص١٠٩).
(٤) . محمد بن عمر الأيوبي: مضمار الحقائق (ص١٩٠).

لِدى لَـــهُ الْأَعْـــدَاء جِـــد غَالـــب	حِمـــى الممالـــك مِنْـــهُ لَيْـــث أغلـــب
ملكـــت ســـجاياه الْقُلُـــوب محبَّـــة	إِن الْكَـــرِيم إِلَـــى الْقُلُـــوب محبـــب
بـك يَـا صَـلَاح الـدّين يُوسُـف أكثـب	النـــائي ورف المقشـــعر المجـــدب
ذللـــت أَخْـــلَاق الزَّمـــان لأَهلـــه	فأطـــاع وَهُـــوَ الخـــالع المتغضـــب
واقمـــت ســـوقا للمـــدائح مربحـــا	إليـــه أعـــلاق الْفَضَـــائِل تجلـــب
ونهضت لِلْإِسْلَامِ نهضة صَادِق العزمات	تـــرأب مـــن ينـــاه وتشـــعب[1]

المبحث الثاني

أقوال في صلاح الدين

قيل في صلاح الدين الكثير من الكلمات والأشعار، مشيدة بأخلاقه وتعامله وانتصاراته، وقد أدهش أخلاقه حتى المسيحيين الذين وجدوا الراحة والأمان في ظل حكمه، وأعجب به حتى أعدائه الصليبين فكان يصفونه بأنه رحيم القلب (وقد مر عنا في حادثة الصبي)، وشهم، وشجاع...الخ من الأوصاف الحسنة.

فهذه أقوال بعضها لغير المسلمين لنرى كيف يصفون هذا البطل العظيم.

- قال عنه (استيفنسن): "كان صلاح الدين موفقاً في خططه ماهراً في عمله، سريعاً في تقدير قوى عدوه، لم يتردد لحظة واحدة في تنفيذ ما رسمه، أما نشاطه فما كان يعرف الملل والتعب، وكان صبوراً على الشدائد، يثق بنفسه وثوقاً عظيماً ".
- وجاء في كتاب تلياني: "كان صلاح الدين رجلاً شجاعاً عظيماً مقداماً، تمكن بمواهبه الفطرية التي فطر عليها أن يرفع نفسه لا إلى درجة فحسب، بل أوجد نفسه مجالا صار به فاتح البلاد ومدوخ الأمم النصرانية الإفرنجية في مواقع عدة انتصر فيها عليهم انتصارا باهراً، كما أنه حاز من النصر على غيره من أمراء الشرق ما جعله سلطان عصره، وأوحد الأمراء لوقته ".

---

(١) . نفسه

- وقال المؤرخ ستانلي: " لم يعرف العالم أخلاق هذا الشخص وأوصافه العالية، فقد كان من غير شك ذا نفس شريفة، شهماً شجاعاً، رقيق القلب..".
- وقال مؤرخ آخر: " والذي أدهش المسيحيين من أمر صلاح الدين هو مروءته، وشهامته، وسخاؤه، وكرمه، ورحمته، وحلمه، وصفحه، وعفوه ولا سيما محافظته على العهود والمواثيق، ومن المدهش أن تكون هذه الأوصاف التي ملأت قلوب أهل أوربا إعجابا هي الأوصاف التي يصفون بها ذلك الرجل الذي انتصر عليهم فهزمهم في آسيا ".
- وقال أحمد زكي باشا: " وقد كان القبط يحبون هذا الملك العظيم . صلاح الدين . الذي حماهم ورعاهم، وعرفوا في ظله أيام السعادة والهناء وأي دليل على هذا من وضع صورته إلى جانب الآنية المقدسة..".
- وقال بطرس البستاني: " ولقد وافق مؤرخو الافرنج مؤرخي العرب والإسلام على إعظام شأنه ومدحه وقالوا: ان موته ألم أعداءه كالمسلمين لما عرفوا به من البسالة والعدل والصدق وإقامة المواثيق، وحلمه عند المقدرة، وعفوه بعد الانتصار".
- وقال الأستاذ أحمد بيلي: " ذلك البطل الذي ظهرت فروسيته وشجاعته فملأت قلوب الإفرنج رعباً وفزعاً، ذلك الذي أن صال صولة انتزعت لها قلوب الأعداء من أمكنتها هلعاً، وان طاف طوفة شخصت لها عيونهم إكباراً له وتعظيماً ".
- وقال المستشرق كارل بروكلمان: " والحق إن حروب صلاح الدين ضد الصليبيين قد جعلته من أشهر ملوك الشرق في أوربا أما في الذاكرة الشرقية فلا يزال اسمه خالداً إلى جانب اسم هارون الرشيد وبيبرس، كرمز لحقبة من أسعد حقب التاريخ وأهناها. وليس من شك في أن قلة ضئيلة من أمراء الإسلام كانت تضارعه من حيث تجرده عن أيما نزعة إلى الكسب الشخصي، ومن حيث انصرافه إلى خدمة دولته ورعاياها، ليس غير. ولم يستطع أعداؤه أنفسهم إلا الإقرار له بالشهامة والنبل في معاملة الخصم المغلوب. ليس هذا فحسب، فقد كان صلاح الدين بالإضافة إلى ذلك كله نصيراً للعلم. ولقد وفق إلى نفر من العلماء حفظوا جميله له".

- ولما حيا غليوم الثاني الألماني صلاح الدين الأيوبي في قبره، قال أحمد شوقي، بقصيدة منها هذه الأبيات:

أتـــــدري أيّ ســـــلطان تحيّـــــي ... وأيّ مملّـــــك تهـــــدي الســـــلاما
عـــوت أجـــل أهـــل الأرض حربـــاً ... وأشـــــرفهم إذا ســـــكنوا ســـــلاما
وقفـــــت بـــــه تـــــذكره ملوكـــــا ... تعـــــوّد أن يلاقـــــوه قيامـــــا
وكـــــم جمعـــــتهم حـــــرب فكـــــانوا ... حدائـــــدها وكـــــان هـــــو الحســـــاما
فلـــو كـــان الـــدوام نصـــيب ملْـــك ... لنـــالَ مجـــد صـــارمه الـــدواما

وقال معروف الرصافي مخاطباً صلاح الدين يستنهضه من قبره ليرى ما فعله الجنرال اللنبي في بيت المقدس:

ونســـتنزف الـــدمع الغزيـــر لتربـــه ... كمـــا اســـتنزف دمـــع المحبـــين أطـــلالُ
حنانيـك يـا قبـَر ابـن أيـوب فانصـدع ... ليـنهض ثـاوٍ فـي مطاويـك مفضـالُ
إليـك صـلاح الـدين نشـكو مصـيبة ... أصـيبت بهـا قلـب الُعلـى فهـو مغتـالُ

- قال عبدالغني المنشاوي في سيرة بطل الشرق والإسلام (صلاح الدين يوسف بن أيوب):

هـــذا مقـــام العـــلا والفخـــر والغلـــب ... فغـــن بالنصـــر يـــا صـــناجة العـــرب
طـــرب لنـــا وامـــلأ الـــدنيا بـــه نفحـــاً ... وحـــلّ منـــه صـــدور الصـــحف والكتـــب
وهز بـالفخر عطـف الشـرق فـي عجـب ... كم في حياة (صلاح الدين) من عجب
يـــا طالمـــا امتحنـــت بـــالهم همتـــه ... فمـا اشـتكى فـي سـبيل الله مـن نصـب
الصـــبر ميراثـــه والصـــبر عنصـــره ... صبر (ابن أيوب) في لحم وفي عصب
أباحـــك الـــدين لمـــا صـــنته لقبـــا ... فأهنأوتـــه (صـــلاح الـــدين) باللقـــب
بيضـــت بـــالكرد وجـــه الكـــرد فـــأتلقوا ... كوكبـــاً فـــي ســـماء المجـــد والحســـب
ردوا الحيـاة علـى الإسـلام وابتهجـوا ... بـالموت محتسـبا فـي أثـر محتسـب
أعيـا جهـادك قومـا أبطنـوا حسـدا ... وأظهـروا عجبـاً ادعـى إلـى العجـب
أينصـــر الـــدين كـــردي!! فقـــل لهـــم ... الـــــدين لله لا للكـــــرد والعـــــرب

المصادر والمراجع

١) ابن الأثير (عزالدين): الكامل في التاريخ، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.

٢) ابن الأثير الجزري : (عزالدين علي ابن أبي الكرم أثير الدين ت:٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). الباهر في تاريخ الاتابكية، (بدون سنة طبع).

٣) ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبدالحي ت: ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت.

٤) ابن تغري بردي: (جمال الدين أبو المحاسن ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد، سنة: ١٩٦٣م.

٥) ابن جبير (أبي الحسن محمد بن أحمد ت: ٦١٤هـ/ ١٢١٧م): رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م.

٦) ابن خلكان الاربلي: (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الدكتور: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

٧) ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن ايدمر ت: ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م): الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عزالدين علي، عالم الكتب، بيروت.(بدون سنة الطبع).

٨) ابن شداد (بهاء الدين يوسف بن شداد ت:٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٤م.

٩) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، مطبعة المعارف، بيروت.

١٠) أبو شامة المقدسي (أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي ت:٦٦٥هـ/١٢٦٦م): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، طبعة دار الجيل، بيروت (بدون سنة الطبع).
١١) أبوشامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
١٢) أحمد بيلي: حياة صلاح الدين الأيوبي، الطبعة الثانية، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٢٦م.
١٣) أحمد شوقي: (ت: ١٩٣٢م): الشوقيات، تعليق الدكتور: يحيى شامي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
١٤) الأشرف الغساني: (الملك أبو العباس إسماعيل ابن العباس ت: ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م): العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبدالمنعم، دار التراث الإسلامية، (بيروت . بغداد)، ١٩٧٥م.
١٥) بطرس البستاني: دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت.
١٦) الحنبلي (أحمد بن إبراهيم ت: ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م): شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: ناظم رشيد، وزارة الثقافة والفنون العراقية، سنة: ١٩٧٩م.
١٧) الذهبي (أبو عبدالله شمس الدين أحمد بن محمد ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م.
١٨) السبكي (عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي ت:٧٧١هـ/ ١٣٦٩م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دار أحياء الكتب العربية، (بدون سنة الطبع).
١٩) سعيد عبدالفتاح عاشور: الناصر صلاح الدين الأيوبي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، (بدون سنة الطبع).

٢٠) صلاح عبدالتواب سعداوي: ١٠٠ قصة وقصة من حياة صلاح الدين، دار الفضيلة، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١١م.
٢١) عبدالعزيز سيد الأهل: أيام صلاح الدين، دار الكتب، بيروت، ١٩٦١م.
٢٢) عبدالله ناصح علوان: صلاح الدين الأيوبي، دار السلام، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٣) علي محمد الصلابي: صلاح الدين الأيوبي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هت/٢٠٠٨م.
٢٤) العماد الأصفهاني (أبو عبدالله محمد بن محمد ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م): الفتح (الفيح) القسي في الفتح المقدسي، تحقيق: محمد محمود صبيح، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.
٢٥) كارل بروكلمان (مستشرق ألماني): تاريخ الشعوب الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٠م.
٢٦) محمد أمين زكي ت:١٩٤٨م: مشاهير الكورد وكوردستان، مراجعة وتعليق: محمد علي عوني، مطبعة السعادة، مصر، سنة ١٩٤٧م.
٢٧) محمد بن عمر بن شاهنشاه الأيوبي (ت:٦١٧هـ/ ١٢٢٠م): مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: الدكتور حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة.
٢٨) محمد كرد علي: خطط الشام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.
٢٩) معروف الرصافي ت:١٩٤٥م: ديوان معروف الرصافي، دار ومكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع (بدون سنة الطبع).
٣٠) النعيمي (عبدالقادر بن محمد الدمشقي ت: ٩٧٨هـ/ ١٥٧٥م): الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٩٩٠م.